منهج علي بن ربن في رسالة الرد على أصناف النصارى وأثره على الجدل الإسلامي المسيحي

The approach of Ali bin Rabin in the message of response to the types of Christians And its impact on the Islamic-Christian controversy

د. ياسين حامي
جامعة الجزائر1، كلية العلوم الإسلامية، (الجزائر)
y.hami@univ-alger.dz

تاريخ الاستلام: 2023/02/22 تاريخ القبول: 2023/04/13 تاريخ النشر: 2023/06/18

ملخص:

يعد علي بن ربن شخصية علمية محورية في تاريخ الجدل الديني الإسلامي المسيحي، وتنبع أهميته من سعة اطلاعه على الديانة المسيحية وعلى كتبها وترجمات هته الكتب، كما أن توسعه في العلوم الفلسفية والعقلية القديمة والمعاصرة له، مكنه من كتابة نقد إسلامي قائم على القواعد المنطقية والعقلية التي رأى أنها ملزمة لكل أهل الأديان بل لكل العقلاء، ففي رسالته في الرد على أصناف النصارى، يذكر بالقواعد العامة للعقائد الإسلامية لتكون مرجعا بعد نقض عقائد المخالفين، ثم يثبت بالأدلة العقلية في المسكتات السبع وفي المبادئ الإثني عشر أن هذه العقائد تتفق مع العقل بينما تناقض عقائد النصارى مبادئ العقل، وتخلط بين خصائص المخلوقات وصفات الخالق، ويتجلى هذا عند انتقاج ابن ربن للعقائد الواردة في قانون الإيمان المسيحي، ونظرا لقوة محاججة ابن ربن فقد ظهر تأثيره في المجادلين من علماء المسلمين ومن المهتدين من بعده.

الكلمات المفتاحية: علي بن ربن، الجدل الديني، المنهج العقلي، الإسلام، المسيحية.

Abstract:

Ali bin Rabin is considered a pivotal scholarly figure in the history of the Christian-Islamic religious debate, and his importance stems from his extensive knowledge of the Christian religion, its books, and translations of these books. His expansion in ancient and contemporary philosophical and mental sciences enabled him to write an existing Islamic criticism. On the logical and rational rules that he saw as obligatory for all people of religions, but for all rational people, in his letter in response to the types of Christians, he mentions the general rules of Islamic beliefs to be a reference after denouncing the beliefs of the violators, then proves with mental evidence in the seven sects and in the twelve principles that these Beliefs agree with the mind, while the beliefs of the Christians contradict the principles of the mind, and confuse the characteristics of creatures with the attributes of the CreatorAnd due to the strength of IbnRaben's argument, his influence was evident in the debaters among Muslim scholars and **among the converts after him.**

Keywords: Ali bin Rabin, religious controversy, the rational approach, Islam, Christianity.

مقدمة:

التعريف بالموضوع:

يعد علي ابن ربن من أوائل المهتدين الذين وجهوا الجدل بين المسلمين وبين أهل الكتاب النصارى واليهود وذلك من خلال النقد الداخلي للعقائد والكتب، ومما مكن المهتدين منالبروز في مجال الجدل الديني اطلاعهم الداخلي المتعمقعلى مكونات الدين النصراني والدين اليهودي، مما جعلهم ينطلقون في نقدهم من المسلمات العقائدية عند أهل الكتاب، ومن الكتابات الدينية المعتمدة عند اليهود والنصارى، ويعد علي ابن ربن لدى المهتمين بتاريخ الجدل الديني من أوائل المستعملين لهذا المنهج والموجهين له.

أهمية الموضوع:

وتنبع أهمية دور ابن ربن في الجدل الديني في أسبقيته على غيره من المجادلين من المسلمين ومن المهتدين مما يدعو للبحث حول التأثر والتأثير بين ابن ربن وبين من جاء بعده، كما أن أصالة منهج ابن ربن وتعمقه في النصوص الدينية بعدة لغات يعطيه أهمية خاصة في تاريخ الجدل الديني الإسلامي المسيحي.

إشكالية الموضوع:

وبما أن ابن ربن كانت له مكانة خاصة في الجدل الديني الإسلامي المسيحي، نبعت من أسبقية أسلوبه الجدلي القائم على إلزام المخالف من خلال ما يلتزم به، وعدم مجادلته بما لا يلتزم به، فإن ذلك يجعلنا نتساءل حول تلك المكانة، هل استخدم ابن ربن أساليب جدلية جديدة لم يسبق إليها؟ وإذا كانت أساليب ابن ربن الجدلية مستحدثة فهل أثرت على أساليب الجدل عند المسلمين وعند المهتدين ؟

وللإجابة على هذه الأسئلة نفترض أن ابن ربن استحدث أساليب جديدة في الجدل الديني الإسلامي المسيحي، وأنه أثر على توجهات الجدل الديني عند المسلمين وعند المهتدين.

وللتأكد من صحة هذه الفرضيات سنعتمد منهجا وصفيا تحليليا مقارنا، وذلك بتحليل نماذج من رسالته في الرد على النصارى، ثم مقارنتها بنماذج من الجدل الديني الإسلامي المسيحي عند المسلمين وعند فئة المهتدين.

الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة التي تناولت ابن ربن الطبري كتاب عبد المجيد الشرفي ،**الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع /العاشر**(الدار التونسية للنشر، تونس، 1986)، والذي أشار بإيجاز إلى طبعة غير محققة لرسالة الرد على النصارى في بيروت سنة 1959 معرجا على عناوين محتوياتها وكتاب محمد بن عبد الله السحيم، مسلموا أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية (دار الفرقان) وقد اكتفى بنقل إشارة إلى رسالة ابن ربن في الرد على النصارى من كتاب عبد المجيد الشرفي السالف الذكر .

جديد البحث مقارنة بالدراسات السابقة

يلاحظ على الدراسات السابقة التوجه إلى تحليل مضمون كتاب الدين والدولة في إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن ربن بينما لم تتوجه تلك الدراسات إلى تحليل مضمون رسالة الرد على أصناف النصارى لنفس المؤلف، وأثرها على الجدل الإسلامي ويسعى هذا البحث إلى ملء هذا الفراغ بتحليل مضمون الرسالة وإعطاء إشارات تبين آثارها على الجدل الإسلامي المسيحي.

خطة البحث:

- مقدمة.

1- التعريف بغلي بن ربن الطبري.

2 - المنهج العقلي عند علي بن ربن:

أ - المنهج الجدلي المنطقي في الرد على النصارى.

ب- بيان ابن ربن مختصر العقائد الإسلامية للمخالف.

ج- المناقشة العقلية المنطقية للعقائد النصرانية.

د- أوجه الاتفاق بين عقلاء أهل الأديان على صفات الألوهية.

هـ - مناقشة ابن ربن لتناقضات قانون الإيمان .

3 - أثر علي بن ربن على الجدل الديني الإسلامي المسيحي.

4 - نتائج وتوصيات.

1- التعريف بعلي بن ربن الطبري:

يذكر الباحثون الذين درسوا شخصية علي ابن ربن أن ترجمته في كتب التراجم القديمة يكتنفها عدة إشكالات، "فقد أثارت ترجمة حياة ها المؤلف منذ بدأت العناية به في العصر الحديث، وبالتحديد منذ سنة 1920م، مشاكل عديدة تتعلق باسمه وبالدين الذي كان عليه قبل اعتناقه الإسلام وبتاريخ ولادته ووفاته"[1]، ومما زاد من تعقيد تعريفه عدم كتابته لسيرته الذاتية إلا بعض الإشارات التي وردت عن شخصيته في مؤلفاته، "فلم يضع ترجمة ذاتية لنفسه، ولو كان فعل، لاطلع عليها مترجموه من المتقدمين وقدموا لنا ترجمة أوفى مما ورد في كتبهم، فجميع المصادر التي ترجمت له أغفلت أسماء آبائه وأجداده، ولم تعطنا تأريخا لميلاده أو لوفاته، أو ما يمكننا من تكوين صورة واضحة المعالم والزوايا عن حياته، بل إن جميعها لم تقدم لنا إلا نبذة يسيرة عنه"[2].

وأول الإشكالات التي تواجه الباحث في ترجمة ابن ربن هي الاختلاف في اسم أبيه "فهو عند ابن جرير الطبري – وهو أقدم من ذكره – علي بن ربن النصراني، وعند المسعودي عليبن زيد، وعند ابن النديم علي بن سهل بن زيل[3]،وعند ابن أبي أصيبعة علي بن سهل بن ربن، وعند ياقوت علي بن ربن، وعلي بن زين ورزين، وعند ابن خلكان علي بن زين، وعلي بن ربن، وعند القفطي علي بن ربن"[4]، إضافة إلى أن اسم أبيه ربن يوحي بالأصول اليهودية، وتدعمت هذه الفكرة بما ذكره القفطي في ترجمة ربن الطبري، حيث قال: "الطبيب اليهودي المنجم، هذا رجل من أهل طبرستان كان حكيما طبيبا عالما بالهندسة وأنواع الرياضة وحل كتبا حكمية من لغة إلى لغة أخرى، وكان ولده علي طبيبا مشهورا انتقل إلى العراق وسكن سر من رأى، وربن هذا كان له تقدم في علم اليهود، والربن والربين والراب أسماء لمقدمي شريعة اليهود"[5]، وقد رد عادل نويهض نسبة ابن ربن إلى اليهودية معتمدا على مواضع ذكر فيها ابن ربن أنه كان نصرانيا، على أن هذا الاعتماد قد يرد عليه بأن ازدواجية الدين ظاهرة منتشرة عند اليهود.

وإلى جانب استشكال الباحثين لاسم الطبري وديانته فقد استشكلوا سنة ميلاده ووفاته، ومن عاصر من الخلفاء العباسيين، وحاول محقق كتاب فردوس الحكمة إرجاع سنة ميلاده إلى الفترة بين سنة 780م و770م معتمدا على حوادث ذكر ابن ربن أنه رآها في طفولته[6]، كما حاول بذات الطريقة الوصول إلى زمن وفاته فيقول: "ولم يتعرض أحد من المؤرخين لسنة وفاة علي بن ربن ولكن يسوغ لنا الحكم البات الذي لا يدع للشك مجالا أنه توفي بعد سمة خمسين وثمان ومئة لأنه قال في فردوس الحكمة أنه فرغ من تأليفه في السنة الثالثة من خلافة المتوكل"[7].

وقد ذكر محقق فردوس الحكمة في الطب مجموعة من الكتب التي تنسب إلى علي بن ربن، معتمدا على ما ورد في كتب الفهارس منها: تحفة الملوك، وفردوس الحكمة، وكناش الحضرة، وكتاب منافع الأدوية والأطعمة والعقاقير، وكتاب في الأمثال والأدب على مذاهب الفرس والروم والعرب[8]، "ولعلي الطبري عدد آخر من المؤلفات نعرف عناوينها من خلال كتب التراجم، و لكنها لم تصلنا، وهي تدل على اهتمام بالطب خاصة ولكنها تدل كذلك على تمكن من الأدب والتاريخ ومن اللغة السريانية وربما من العبرية واليونانية أيضا، ولأثري علي الطبري الرد على النصارى والدين والدولة أهمية خاصة، إذ هما أول إنتاج وصلنا في الجدل الإسلامي المسيحي..."[9] وكتاب رسالة في الرد على النصارى الذي نعتمد عليه في هذا البحث ويؤكد صحة نسبته إلى علي بن ربن أنه ذكره في كتابه الدين والدولة.

2-المنهج العقلي عند علي بن ربن:

أ- المنهج الجدلي المنطقي في الرد على النصارى:

يعتمد ابن ربن على القواعد العقلية المتفق عليها بين النصارى و المسلمين، وبين عموم العقلاء وذلك ليلزمهم بالحجج التي يلتزمون بها، وبذلك يتجاوز احتجاجهم بعدم التزامهم بما يلتزم به المسلم من نصوص وعقائد، يقول في ذلك: "فإن من شأن كل ذي دين أن يفضل دينه بحب دينا غيره، ولا سبيل إلى معرفة الأفضل من الأرذل إلا باختبار، ولا يكون الاختبار إلا بالعقل، ولولا العقل لما عرف له صانعا، وأنه إله واحد فرد صمد قديم أزلي، وأنه غلوب وهوب، ومن لم يستعمل العقل جهل ومن جهل فقد ضل، ومن ضل قد كف"[10]، واستعمال ابن ربن للأدلة العقلية نابع من طبيعة تكوينه المتعمق في المنطق والفلسفة وتبحره في أنواع العلوم، مما مكنه من عرض الأديان على ميزان العقل والمنطق، ودفعه إلى مراجعة العقائد للمسيحية واعتناق الإسلام وهو في سن السبعين[11].

ب- بيان ابن ربن مختصر العقائد الإسلامية للمخالف:

قبل أن يشرع ابن ربن في نقده العقلي المنطقي للعقائد النصرانية، يذكر باختصار العقائد الإسلامية التي تتفق مع العقل والمنطق، وتخالف العقائد النصرانية، لكي لا يكتفي بالهدم لعقائد المخالف بل يعطي البديل الصحيح لها، فعقيدة المسلمين أن الله حي لا يموت وأنه إله كل الأنبياء، "فالإسلام هو الإيمان بالله الحي الذي لا يموت، الواحد الفرد الملك القدوس الجواد العدل، إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، وإله موسى وعيسى وسائر النبيين وإله الخلق أجمعين"[12]، والله تعالى ليس كمثله شيء من مخلوقاته، "فلا ابتداء له ولا انتهاء ولا أنداد ولا أولاد ولا أجداد ولا أتراب ولا أسباب..."[13]، وبعد البيان المختصر للعقائد الإسلامية المناقضة للعقائد النصرانية ينتقل ابن ربن إلى النقد العقلي المنطقي للعقائد النصرانية.

ج- المناقشة العقلية المنطقية للعقائد النصرانية:

يبدأ ابن ربن فيما سماه المسكتات السبع بسؤال النصارى حول مختصر عقائد الإسلام المتضمن للتوحيد، الذي ذكره في بداية رسالته هل هو من الحق أم هو من الباطل، فإن قالوا باطل كذبوا ما جاء به أنبياؤهم فيقول: "فإن قالوا: حق، فالذي هم عليه باطل لأنهم يؤمنون بثلاثة آلهة، بل بأربعة، وهم الآب، والابن والروح القدس وإنسان لأولي وهو يسوع المسيح، وحقيقة ذلك في شريعة إيمانهم التي أنا مفضح لها ومبدي سرها، وإنها تنطق بأن يسوع المسيح مخلوق وليس بخالق كما تقولون، فإن قالوا إن ما شرحت في التوحيد باطلا، كفروا بما جاء به موسى وعيسى وسائر الأنبياء عليهم السلام وكلهم موحد مخلص"، فابن ربن هنا يستقصي الاحتمالات العقلية لما سيجيب به المخالف ليسد عليه كل منفذ، ويتوقع ما سيجيب به الخصم، ليقطع الخصومة من أساسها، وبنفس الأسلوب يقطع الطريق على من يتلاعب بالنصوص الدينية المسيحية، بالاحتجاج بالنصوص التي ذكرت التأليه على النصوص التي ذكرت بشرية المسيح فيقول: "فإن قال قائل منهم إن المسيح وإن كان وحد واعترف أنه مبعوث كما في الإنجيل، فقد اعترف في غير موضع أنه الأزلي الخالق، فقد شنع على المسيح أقبح التشنيع، ونسبه إلى التناقض، باعترافه مرة بأن الله واحد وأنه مبعوث، وادعاؤه بعد ذلك أنه خالق أزلي، والمسيح بريء من ذلك وممن نسبه إلى ما لا يليق بالعقل..."[14]

وينتقل في المسألة المسكتة الثانية إلى إلزامهم بالتحليل المنطقي لأقوال المسيح حول ذاته إن كانت كلها حق، أم أن بعضها حق وبعضها باطل، فيقول: "أنا نسألهم عما وصف به المسيح نفسه هل يكون محقا في بعض ومبطلا في بعض؟ فإن قالوا: إنه محق في بعض ذلك ومبطل في بعض، كفروا به، وكذبوا بأخباره، وإن قالوا: إنه محق في جميع ذلك، فقد أقروا بأنه مبعوث، وأنه مربوب، وأن الله واحد فرد كما قدمت وبينت منقوله، وهذا خلاف لما في شريعة إيمانهم، التي تقول: "إنه إله حق من إله حق"، فمن خلال التحليل المنطقي لما ورد في أناجيلهم يلزمهم بخلاف معتقدهم في المسيح عليه السلام، والذي يلتزمونه اعتمادا على قانون الأمانة.

وينتقل في المسألة المسكتة الثالثة إلى بيان التناقض المنطقي والعقلي في ديانة النصارى، إذ يصفون الخالق بالقدم والأزلية، ثم يناقضون ذلك بوصفه بالموت والمرض، ثم إن ادعوا أنهم لا يقولون أنه يموت و يمرض فسيقعون في التناقض مع ما جاء في قانون شريعتهم من وصف عيسى عليه السلام بتمام الألوهية وبالموت والألم فيقول: "فإن قالوا: إنه يتغير أو يموت، فقد مات إيمانهم...وإن قالوا إن الأزلي الخالق لا يتغير ولا يموت، خالفوا شريعة إيمانهم، ومن خالفها كان عندهم كافر بها، فإنها تقول: (إن يسوع المسيح خالق غير مخلوق، وأنه إله حق من إله حق، من جوهر أبيه وأنه قتل وصلب وألم "[15].

ثم ينتقل ابن ربن في المسكتة الرابعة إلى بيان بطلان قانون الأمانة لما يحتويه من تناقضات لا يقبلها العقل، ولا تتفق مع قواعد المنطق، فيسألهم عن اعتقادهم في قانون الإيمان، هل هو حق كله أم بعضه حق وبعضه باطل، فإن أجابوا بالأخير أبطلوا بعض عقائدهم، وما تطرق البطلان إلى بعضه دل على فساد كله، وإن قالوا بأن القانون كله حق ينتقل ابن ربن إل بيان بطلانه وتناقضه فيقول:

"وإن قالوا هي حق من أولها إلى آخرها فانفتح، ونقول: إنما نؤمن بالله الواحد الآب، مالك كل شيء، وصانع كل ما يرى، وما لا يرى، فإن كان ذلك صحيح فالمسيح إذا مخلوق مبعوث، فإنه لا يخلو أن يكون من الأشياء التي ترى أو من الأشياء التي لا ترى، فمن أيها كان فهو مخلوق والله خالقه، لقول شريعة الإيمان إن الله خالق من يرى ومن لا يرى وإن احتج محتج، وقال: إن في آخر الشريعة بعينها ما يشهد لهم بأن المسيح هو أيضا إله حق، وأنه خالق كل شيء كان الجواب فيه، وإن كان آخر شريعتهم موافقا لأولها فالأمر فيه كما قلناه، وإن كان آخرها مخالفا لأولها، فالشريعة إذن فاسدة متناقضة، وإذا فسدت الشريعة فسد الإيمان بها، وضل المؤمنون بها"[16] ومحصل هذا القانون عند ابن ربن أن النصارى يقولون لإلهم إنك خالق كل شيء، ثم يقولون له إن معك إلها آخر يخلق الأشياء مثلك.

وينتقل في المسألة المسكتة الخامسة إلى مناقشتهم في طبيعة المسيح عليه السلام، ويحصي عليهم احتمالات ما سيقولونه في طبيعته، "فإن قالوا: هو إنسان مخلوق مبعوث وافقوا المسلمين في شريعة إيمانهم، وإن قالوا بل هو إله خالق أزلي، خالفوا الإنجيلات وغيرها من الكتب وكفروا بها"[17]، ثم يبين لهم تناقض قولهم ببشرية المسيح وإلهيته، ويبين لهم شناعة ما يستلزمه قولهم، "فقد يخرج عليهم من هذا القول كبيرة أخرى أزرى وأشنع من الأولى، وهي أن المسيح إن كان أزليا خالقا كما في شريعة إيمانهم لزمهم أن يجعلوا بعض الرب خالقا أزليا، وبعضا ميتا مخلوقا لأن المسيح مقر بأنه لحم ودم، فاللحم والدم إذا خالقان أزليان، وقد علمنا أنهما يتولدان عن الأغذية والأشربة وتلك الأغذية والأشربة أجزاء من أجزاء الدنيا، فخالق الدنيا كلها جزء من أجزاء الدنيا، وذلك الجزء بعينه هو خالق نفسه أيضا، لأنه جزء من الدنيا التي هو خالق كلها فهو أشنع ما يكون من البهتان، وأبعد ما يكون من المعقول..."[18]، فمستلزم كلامهم أنهم جعلوا الخالق الأزلي لحم ودم، وجعلوا هذا اللحم والدم خالقا أزليا وهذا الكلام لا يقبله ولا يقوله عاقل.

وينتقل في المسكتة السادسة إلى إبطال عقائد النصرانية في ألوهية المسيح بإثبات وجوده في الواقع الزماني والمكاني، ومادام خاضعا للزمان والمكان فإن ذلك ينفي عنه صفة الألوهية، فإن قالوا بأنه لم يكن في الزمان والمكان تناقضوا مع روايات حياة المسيح في الأناجيل المعتمدة عندهم،" ومن كان في زمان من الأزمنة وفي مكان من الأمكنة، فالزمان أبدا قبله، والأمكنة كانت محيطة به، وما كان كذلك فهو مخلوق، ومتى ثبت أن المسيح مخلوق بطلت شريعة إيمانهم التي تقول إنه إله حق من إله حق وأنه خالق كل شيء، لأن الزمان شيء من الأشياء المخلوقة، والزمان قبل يسوع المسيح، الذي خلق الأشياء كلها فكيف يجوز أن يكون الزمان قبل خالق الزمان، والمكان محيط بمبتدع المكان..."[19]، ويخلص من حجة تاريخية المسيح عليه السلام المرتبطة بالزمان والمكان إلى أنه إنسان ابن إنسان.

وينتقل في المسكتة السابعة إلى محاججة النصارى في عقيدة ألوهية المسيح بإلزامهم بأقواله التي وردت في الأناجيل التي هي معتمدة عندهم، فقد ورد عنه أنه لا يشهد لنفسه ولكن الأب يشهد له أنه أرسله[20]، وورد في إنجيل متى في الإصحاح العشرين أن المسيح تضرع للرب ليصرف عنه كأس الموت إن شاء، ونفى في الإصحاح الحادي عشر من إنجيل مرقص عن نفسه علم وقت الساعة وحصر هذا العلم في الأب، وبعد ذكر هذه الملزمات يسأل النصارى" عن صاحب هذه الأقاويل، هل هو الأزلي الخالق أو إنسان مخلوق، فإن قالوا بل إنسان مخلوق مبعوث وافقونا في شريعة إيمانهم وخرجوا من دينهم، وإن زعموا أن المقر بتلك المعاني التي ذكرناها وبيناها هو الخالق الأزلي خرجوا عن إيمان الأنبياء، وقضية الحكماء وقادهم قولهم هذا إلى أن يجعلوا الأزلي الخالق منقوص العلم متهم الخبر مجروح الشهادة محتاج إلى من يعطيه الحياة"[21]، ثم يبين للنصارى أن مستلزمات تأليه المسيح والروح القدس "أقبح ما يكون من قول الدهرية والمجس لأنه إن كان قول والروح مثل الأب في قدرته وخلقته فهو ثلاثة آلهة قدما كما قالت هذه الشريعة فما الذي جعل الأب أحق بخدمتهما وطاعتهما من أن يكون هو نفسه يطيعهما، ويخدمهما، إذا كان لا تفاضل بينهما في شيء من الأشياء وإن كان بينهما تفاضل فالابن والروح دون الله في القدرة والقدم، فإن ذكروا أن قائل هذه الأقاويل هو إنسان مخلوق، خالفوا شريعة إيمانهم وخلعوها وانسلخوا منها"[22]، ويعد ابن ربن المسائل السبع المسكتات كافية لمن أراد معرفة الحق من النصارى.

د– أوجه الاتفاق بين عقلاء أهل الأديان على صفات الألوهية:

بعد أن ينتهي ابن ربن من بسط الاستدلال العقلي في المسكتات السبع، ينتقل إلى نقد عقائد النصارى فيذكر اثني عشر وجها من وجوه اتفق عقلاء أهل الأديان أن الذات الإلهية تتصف بها ولا تتصف بأضدادها، وهي "أن الله تعالى قديم فرد لا شريك له في ملكه ولا ند، وأن الله لا يغفر أن يشرك به وهو الغني الحميد، وأنه لا أب ولا أم ولا خالات ولا أنساب ولا أتراب، وأنه لا يدرع ولا يوزن ولا يحيط به مكان، وأنه لا يقبل الزيادة ولا النقصان، وأنه لا يأكل ولا يشرب ولا يجوع ولا يشبع، وأنه لا يقال لشيء من خلقه في

قامته وعدد أعضائه وخلقه، وأن الله لا يوصف كنهه ولا يصوره مصور، وأن الله لا يسأم ولا يمل ولا تأخذه سنة ولا نوم، وأنه محيط بكل شيء علما، ولا يخفى عليه خافية في أرض ولا سماء، وأنه غلاب عزيز لا يذل ولا يرهب، وأن الله تعالى لا يبلى ولا يموت فهذه اثنا عشر وجها اتفقت الأمم الموجودة، والأديان المسددة عليها، أن الله لا يعرف إلا بها"[23]، ثم يذكر ابن ربن أن من ادعى أن إلهه بخلاف هذه الصفات فهو يتحدث عن مخلوق حادث، ويذكر ابن ربن أن هذه الصفات المتفق عليها هي الواردة في العهد القديم كما أنها هي واردة في العهد الجديد في الكثير من المواضع، وهي الواردة في رسالة بولس إلى تيموثاوس[24].

ويخالف النصارى عقلاء أهل الأديان بنسبتهم الألوهية إلى المسيح عليه السلام، ثم يذكرون أن للمسيح– عليه السلام – صفات المخلوقين من القياس والوزن والأجزاء، ومن انفصال الأجزاء والأعضاء، وكل هذا وارد في الأناجيل، مما يجعله شبيها لبقية البشر وينفي عنه الألوهية التي نسبها له النصارى، "وقد نطق الإنجيل الأول أن المسيح قص شعره، وقلم أظافره، وذهب طولا وعرضا، وإن كان يسوع المسيح خلقا أزليا، وقد بانت منه هذه الأجزاء وتفصلت من جسمه وانقطعت من كله وعادت رميما وترابا، فالخالق الأزلي قد فسد بعضه وبقي بعضه على حاله، وما فسد بعضه فالفساد واصل إلى كله، وما كان كل وبعض فهو جسم محدود محتاج على ما يحمله، وما كان كذلك فهو مفتقر، وليس بغني، ومخلوق وليس بخالق، وهذا خلاف الشرائط في الإلهية"[25]، وهذا الإلزام ينطبق على طوائف النصارى القائلة بالطبيعة الواحدة وكذلك على القائلة بالحلول والمساكنة، "فهذا يلزم اليعقوبية الذين يقولون إن المسيح هو الله، فأما الحجة على من قال بالمساكنة والحلول والاتحاد فإنه لم يكن بين الأزلي الخالق وبين المسيح فرق، لأنهما اتحدا وتلاحما، والمقطوع غرلته، والمقصوص شعره، والمقلم أظافره، والمطعون في جنبه، والمسمر يداه، والذي كسرت أنيابه، وسال دمه، وخرجت نفسه هو الخالق الأزلي، لأنه لا بينونة بينهما كما زعمتم ولا فرق، فإن لم يكن المفعول به ذلك أيضا أزليا خالقا، فهو إذا إنسان عبد ابن أمة، وفي هذا تفريق بين الله سبحانه وبين المسيح..."[26]، فلا مهرب لطوائف النصارى من هذا الإلزام، خاصة بعد أن ألزموا أنفسهم بقانون الإيمان الذي يصرح ويثبت هذه التناقضات.

هـ- مناقشة ابن ربن لتناقضات قانون الإيمان:

يناقش ابن ربن قانون الإيمان[27] معتمدا على تحليل مضمونه، وبيان مناقضته للأناجيل، مع بيان ما احتواه من مناقضة للعقل، وحتى تناقض محتواه، مذكرا أن هذا القانون تلتنزم به مختلف طوائف النصارى، ويذكر أوجه تناقض وفساد معنى قانون الإيمان، فالوجه الأول لفساده أنه يبدأ بذكر الإيمان بإله واحد ثم يعطف عليه الإيمان بإله ثان هو يسوع المسيح، ويعتبر ذلك من التناقض فأول الكلام ينقض آخره، ومن التناقض ذكره في بداية الشريعة أن الله خالق ما يرى وما لا يرى ويتضمن هذا المعنى خلق المسيح عليه السلام، ثم يردفون ذلك بنسبة خلق ما يرى وما لا يرى للمسيح عليه السلام، ثم يقولون إن المسيح عليه السلام من جوهر أبيه، مع إقرارهم بأن المسيح عليه السلام لحم ودم فجعلوا بقولهم الفاسد الذات الإلهية لحم ودم، مع علمهم أن هذا باطل فهم كمن يجعل الظلمة من جوهر الشمس، ومن تناقضاتهم أنهم يقولون في قانون الأمانة أن يسوع المسيح بكر الخلائق وليس مصنوع، فجعلوه أول المخلوقات ولكنه ليس مخلوقا بل هو أزلي وهذا تناقض، ثم يذكر ابن ربن أنه استقصى المواضع الواردة في بشرية المسيح تربو على عشرين ألفا، وأن الذين ألفوا قانون الإيمان اعتمدوا على بعض النصوص المتشابهة، فحملوا النصوص الصريحة على معاني النصوص المتشابهة، يقول: "فأما الذين اجتمعوا من كل فج عميق ليعقدوا هذه الشريعة قد اطرحوا تلك الآيات الجمة المنقاسة ناحية، وتمسكوا بالمشكلات القليلة التي أنا مفسرها آخر كتابي هذا والتمسوا تأويلات مخالفة لمعظم الأصول، خارجة عن المعقول، واستعملوا فيها الأهواء المدخولة التي أظنها مالت بهم إلى ملوك فلاسفة الروم وغيرهم من الدهرية والثنوية، لأنهم زعموا أن خالق الدنيا هو جزء من أجزاء الدنيا..."[28]، وبذلك خالف محرروا قانون الإيمان قواعد فهم النصوص التي تقتضي حمل الفرع على أصله، والمتشابه على المحكم، وردوا المحكم إلى المتشابه.

3- أثر علي بن ربن على الجدل الديني الإسلامي المسيحي:

أثرت رسالة ابن ربن في الرد على أصناف النصارى على الجدل الديني الإسلامي المسحي منذ البدايات، فنجد كمثال على ذلك أثر رسالة ابن ربن واضحا في رسالة الحسن بن أيوب[29] من المهتدين في الرد على النصارى، هذا الأثر الذي يصل إلى نقل فصول بأدلتها من رسالة ابن ربن، وكمثال على ذلك نقل الحسن بن أيوب لفصل دلائل صحة الشريعة ونقضها من رسالة ابن ربن، فيقول هذا الأخير: "وها أنا ذاكرا أربعة أوجه لا محيد ولا محيص لكافة النصارى عنها فبها يستدل على صحة الشريعة من نقصها، ولا سبيل إلى الزيادة والنقصان فيها، فأولها البشارة التي أداها الملك جبريل عليه السلام عن الله عز وجل إلى مريم..."[30]، فإذا انتقلنا إلى رسالة الحسن بن أيوب وجدناه ينقل هذا الفصل بقوله: "ثم نقول قولا آخر قد نستدل على صحة هذه الشريعة من سقمها بأربعة أوجه لا يقع في شيء منها شك ولا طعن ولا زيادة ولا نقصان وهي أل أمر المسيح عندكم، فأولها: البشرى التي أتى بها جبريل عليه السلام..."[31]، ثم يستمر الحسن بن أيوب في ذكر بقية الحجج التي ذكرها ابن ربن، فالثانية هي قول يحي ابن زكرياء عليهما السلام الذي شهد له المسيح بأنه لم تقم النساء عن مثله، والثالثة النداء المسموع من السماء، والحجة الرابعة قول المسيح عن نفسه حين سأله يحي عن شأنه.

ومن الحسن بن أيوب انتقل تأثير ابن ربن إلى غيره من المجادلين المسلمين، ومن أبرز الأمثلة على ذلك كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمة، حيث نجد أن هذا الأخير قد نقل كل رسالة الحسن ابن أيوب، فيبدأ ابن تيمية رسالته بقوله: "قلت ومن أخبر الناس بمقالتهم من كان من علمائهم وأسلم على بصيرة بعد الخبرة بكتبهم، ومقالاتهم، كالحسن بن أيوب الذي كتب رسالة إلى أخيه علي بن أيوب يذكر فيها سبب إسلامه، ويذكر الأدلة على بطلان دين النصارى وصحة دين الإسلام..."[32]، وبعد نقل ابن تيمية لرسالة الحسن في أكثر من مئة صفحة تضمنت دفاع ابن تيمية عن أفكار الحسن ضد المجادلين من النصارى، يقول: "قلت هذا آخر ما كتبته من كلام الحسن بن أيوب وهو ممن كان من أجلاء علماء النصارى وأخبر الناس بأقوالهم، فنقله لقولهم أصح من نقل غيره، وقد

ذكر في كتابه من الرد على ما يحتجون به من الحجج العقلية والسمعية، وما يبطل قولهم من الحجج السمعية والعقلية ما يبين ذلك"[33]، وذكرنا لنموذج تأثر ابن تيمية بالحسن لبيان أن تأثير ابن ربن انتقل من الحسن إلى ابن اتيمية، مما يوضح لنا علاقة التأثر والتأثير بين المجادلين المهتدين والمجادلين المسلمين.

ويظهر تأثير ابن ربن على فئة المهتدين كذلك عند نصر بن يحي المتطبب[34]، في كتابه النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، وقد ذكر محقق هته الرسالة أن نصر بن يحي قد لخصص فيها فصلا كاملا من كتاب الدين والدولة لابن ربن، إلى جانب اقتباسات قيد مواضعها في حواشي التحقيق[35]، ويذكر المحقق أن نصر ابن يحي قد اعتمد على رسالة الحسن بن أيوب سالفة الذكر فييقول: "ومن هذه المصادر التي استقى منها نصر بن يحي يقينا رغم عدم إشارته رسالة الحسن بن أيوب...فقد اعتمد نصر على هذه الرسالة الجليلة في كتابة فصلين من فصول كتابه هذا، ونظرا لكثرة نقوله منها واقتباساته فإننا اكتفينا بالإشارة إلى ذلك في الحواشي"[36]، وقد أحس صاحب التحقيق بسريان أثر ابن ربن الطبري في كتب ورسائل المهتدين وكذا في مؤلفات علماء المسلمين، فأشار إلى تأثر القرافي في كتاب الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، إلى جانب ملاحظته لوجود تشابه وتقارب في الأفكار و "في الألفاظ بين ما أورده نصر المتطبب وما جاء به القاضي عبد الجبار المعتزلي المتوفى سنة 415هـ في كتابيه الرائعين تثبيت دلائل النبوة والمغني، فأمعنت القراءة وركزت الدرس والمقارنة وانتهيت إلى أن كلا من نصر المتطبب والقاضي عبد الجبار الهمداني قد أخذ من المهتدي علي بن ربن الطبري من كتابه القيم الدين والدولة، ويترجح عندي أن القاضي عبد الجبار في جداله الرائع البارع للنصارى في كتابيه المشار إليهما قد اطلع على كتاب مفقود لعلي بن ربن الطبري"، ثم يذكر المحقق أن هذا الكتاب هو الرد على أصناف النصارى لابن ربن الطبري، فيقول: "فإنا نتوقع أن يكون كتاب الرد على أًصناف النصارى ندا لشقيقه الذي وصلنا أعني الدين والدولة ويغلب على ظني أنه كان لهذا الكتاب المفقود تأثير علمي قوي على بعض علمائنا في هذا الاختصاص العلمي، ولأن القاضي عبد الجبار عرف كتاب الدين والدولة ومؤلفه فلا غرابة أن يكون قد وقع على نسخة من كتاب الطبري الثاني الرد

على أصناف النصارى وأفاد منها ويكون نصر المتطبب قد فعل الشيء نفسه، أو قد اطلع على كتابات القاضي عبد الجبار ونقل عنها ما نقله القاضي عن الطبري..."[37].

خاتمة:

أولا نتائج البحث:

- تكتسي شخصية علي ابن ربن أهمية خاصة في تاريخ الجدل الديني الإسلامي المسيحي، وقد مكنه من ذلك سعة علمه واطلاعه على علوم عصره العقلية، وعلى الثقافة الدينية المسيحية اليهودية في أصولها المكتوبة، وبعدة لغات منها السريانية والعبرية، فمكانة ابن ربن العلمية محل اتفاق بين من ترجموا له وإن اختلفوا في تفاصيل اسمه وتاريخ ميلاده ووفاته وديانته الأصلية.

- ينطلق ابن ربن في نقده للنصارى من مسلمات العقل المتفق عليها بين العقلاء، وبين أهل الأديان، وقبل استخدام هذا الأسلوب في نقض عقائد النصارى يشير بإيجاز إلى عقائد الإسلام التي تخالف النصرانية لكي لا يكتفي بالهدم دون البناء.

- يثبت ابن ربن للنصارى من نصوصهم أن ما اختصره من عقائد الإسلام هو الحق، بما يتبنونه من أدلة عقلية ونقلية، ويتتبع المخالف في احتمالات ما قد يجيب أو يتهرب به، كما يلزمهم بتفعيل معاني النصوص الدينية عندهم التي لا تتفق مع عقائدهم لأن الاختيار عندهم بين النصوص ليس له أساس.

- يبين ابن ربن للنصارى تناقضهم مع العقل والمنطق حين يصفون المسيح بالألوهية ثم يصفونه بصفات المخلوقات من الموت والمرض والجوع وغيرها، وينبه إلى أن ما ورد في قانون الأمانة من هذه الصفات يتنافى مع قولها بتأليه المسيح، كما يذكر بشناعة مستلزمات قولهم ببشرية وألوهية المسيح التي تؤدي إلى الخلط بين صفات المخلوق وصفات الخالق.

- يثبت ابن ربن للنصارى بشرية المسيح من خلال النصوص الدينية الواردة عندهم والتي ذكرت تفاصيل ما اعتراه من أحوال وتقلبات البشر، ولا مجال لإنكار هذه النصوص وحملها على غيرها من النصوص المتشابهة.

– يذكر ابن ربن للنصارى اثني عشر وجه اتفق عقلاء أهل الأديان على أن الذات الإلهية تتصف بها ولا تتصف بأضدادها، لأن هذه الأضداد من صفات المخلوقات، بينما يختلط الأمر عند النصارى فيصفون الخالق بصفات المخلوق، وتغييب لديهم أسس التفريق بين صفات الخالق وصفات المخلوق فتتداخل عندهم التصورات.

– انتقد ابن ربن قانون الإيمان المسيحي وبين أوجه التناقض بين العقائد التي احتواها فقد تضمن التوحيد إلى جانب تعدد الآلهة، كما أن هذا الفانون يناقض الكتب الدينية المعتمدة عند النصارى، ويرسم صورة متناقضة حول شخصية المسيح عليه السلام تتداخل فيها خصائص البشرية مع صفات الألوهية.

– أدى الأسلوب الجدلي القوي عند ابن ربن إلى تأثر المجادلين من علماء العقائد المسلمين والمهتدين بهذا الأسلوب، ويظهر هذا التأثر عند الحسن بن أيوب وابن تيمية، كما يظهر عند نصر بن يحيى المتطبب، والقرافي وتوجد أمارات على التأثر عند المجادلين من المعتزلة مثل القاضي عبد الجبار.

ثانيا التوصيات:

– يحتاج تراث ابن ربن إلى مزيد من العناية في بيان النصوص الكتابية التي اعتمدها، وبيان اختلاف لغاتها وترجماتها، إلى جانب بيان أثر ابن ربن على طرق الاستدلال عند أفراد المجادلين المسلمين ويحتاج التراث المرتبط بالجدل الإسلامي المسيحي إلى مزيد من العناية، وذلك بتحقيق مخطوطاته، وتحليل أساليب الاستدلال المستعملة فيه، ودراسة ملابساته التاريخية وأوجه التأثر والتأثير فيه.

الهوامش:

[1]عبد المجيد الشرفي،**الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع /العاشر**(الدار التونسية للنشر، تونس، 1986)، ص: 128.

[2] علي بن ربن الطبري، **الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم –**، تحقيق: عادل نويهض (دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط.1، 1973)، ص :4.

[3] يقول ابن النديم:"علي بن زيل باللام، أبو الحسن علي بن سهل الطبري، و كان يكتب للمازيار بن قارن، فلما أسلم على يد المعتصم قربه وظهر بالحضرة فضله، وأدخله المتوكل في جملة ندمائه، و كان بموضع من الأدب ..." ابن النديم، الفهرست (دار المعرفة، بيروت) ص: 412 .

[4] المرجع نفسه، ص: 5.

[5] علي بن يوسف القفطي، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**(دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 2005)، ص: 145 .

[6] أنظر:علي بن ربن الطبري **فردوس الحكمة في الطب**، تحقيق: محمد زبير الصديقي (مطبعة آفتاب، برلين، ط.1، 1928)، ص:9 .

[7] المرجع نفسه، ص : 12 .

[8] أنظر المرجع نفسه، ص:نفسها .

[9] عبد المجيد الشرفي، مرجع سابق، ص :129.

[10] علي ابن ربن، **الرد على أصناف النصارى**، (القاهرة، مكتبة النافذة، ط.1، 2005)، ص: 43.

[11] يقول ابن ربن مبينا ذلك: "ولقد دعاني القديم من ذلك إلى أن ألفت كتابي هذا للتنصل من دين النصرانية والإعذار والنصيحة للنصارى كافة،ولأن لا يقول قائل منهم أو من غيرهم، إني إنما تركت دين النصرانية الذي كنت عليه من أول عمري إلى أن بلغت من العمر سبعين سنة ورغبت في دين الإسلام الحنيفي كي أبيع دنيا بدين، أو سرورا بعرور، بل ما توجهت فيما ألفت من كتابي هذا إلا القربى إلى الله عز وجل والإعذار والإنذار إلى كافة النصارى..." المصدر نفسه، ص:44.

[12] المصدر نفسه، ص: 47.

[13] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[14] المصدر نفسه، صفحة: 50.

[15] المصدر نفسه، صفحة: 52.

[16] المرجع نفسه، ص:54 .

[17] المرجع نفسه،ص:58.

[18] المرجع نفسه، ص: 59.

[19] المصدر نفسه، ص: 60 .

[20]ورد في إنجيل يوحنا :" 5: 37(وَالآبُ نَفْسُهُ الَّذِي أَرْسَلَنِي يَشْهَدُ لِي. لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَهُ قَطُّ، وَلاَ أَبْصَرْتُمْ هَيْئَتَهُ،) ، الكتاب المقدس (المطبعة الكاثوليكية،1951)، ص: 164 .

[21]علي بن ربن الطبري، **الرد على أصناف النصارى**، مصدر سابق: ص: 63.

[22] المصدر نفسه، ص: 64.

[23] المصدر نفسه، ص: 66،67.

[24]أنظر : **الكتاب المقدس** ، مرجع سابق، ص :366.

[25]علي بن ربن الطبري، **الرد على أصناف النصارى**، مصدر سابق، ص:70.

[26] المصدر نفسه، ص: 71.

[27] للمزيد حول ظروف تبني قانون الإيمان المسيحي ينظر: أثناسيوس المقاري، **قوانين المجامع المسكونية وخلاصة قوانين المجامع المكانية**(مصر ، مطابع النوبار، ط.1، 2013).

[28] علي بن ربن الطبري، **الرد على أصناف النصارى**، مصدر سابق، ص: 87.

[29]- يكتنف الغموض تفاصيل شخصية الحسن بن أيوب، فيرجح أنه توفي سنة " 378 هـ، 988م لا نعرف عن الحسن بن أيوب سوى أنه من المتكلمين، صنفه ابن النديم ضمن المعتزلة ممن لا يعرف من أمره غير ذكره،وذكر ابن تيمية أنه كان من علماء النصارى وأسلم على بصيرة بعد الخبرة بكتبهم ومقالاتهم، كما بين هو نفسه أنه أسلم عن نعمة و أهل ومستقر ومحل وعز ومتصرف في عمل، فلم يكن إسلامه إذن طمعا في مال أو في جاه و إنما كان ناتجا عن عدم اقتناع بالدين الذي نشأ عليه. فاعتنق الإسلام لأنه وجد فيه ضالته" عبد المجيد الشرفي، مرجع سابق، ص: 148.

[30]علي بن ربن الطبري، **الرد على أصناف النصارى**، مصدر سابق، ص: 89.

[31] الحسن بن أيوب، **لماذا أسلمت**، تحقيق: محمود النيجيري (مكتبة النافذة، القاهرة، ط.1،2006)، ص: 51.

[32]أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر وآخرون (دار العاصمة، السعودية،ط.2، 1999)م : 4، ص: 88 .

[33] المرجع نفسه: م 4،ص: 182.

[34]لم ترد ترجمة مفصلة لنصر بن يحيى في رسالته إلا إشارات لا ترسم صورة واضحة له، "يتأكد ذلك إذا عرفنا أن كتب الأعلام والتراجم قد سكتت عن صاحبنا، و لم تورد ترجمة لنصر بن يحيى، وإن كانت ذكرت ترجمة لطبيب اسمه يحيى بن يحيى بن سعيد المتطبب النصراني أو المسيحي وأنه توفي سنة 589 ..." أنظر: نصر بن يحيى، **النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية**، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي (القاهرة، دار الصحوة، 1986)، ص: 17 .

[35] أنظر: المرجع نفسه، مقدمة التحقيق .

[36] المرجع نفسه، ص: 30-31.

[37] المرجع نفسه، ص: 31 .

قائمة المصادر والمراجع:

- الكتاب المقدس (المطبعة الكاثوليكية،1951) .

-علي ابن ربن، **الرد على أصناف النصارى**(القاهرة، مكتبة النافذة، ط.1، 2005) .

- علي بن ربن الطبري، **الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم –**، تحقيق : عادل نويهض (دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط.1، 1973).

- علي بن ربن الطبري، **فردوس الحكمة في الطب**، تحقيق: محمد زبير الصديقي (مطبعة آقتاب، برلين، ط.1، 1928).

- عبد المجيد الشرفي،**الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع /العاشر**(الدار التونسية للنشر، تونس، 1986).

- ابن النديم، **الفهرست**(دار المعرفة، بيروت)، د.ت.

- علي بن يوسف القفطي، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**(دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 2005)

- أثناسيوس المقاري، **قوانين المجامع المسكونية وخلاصة قوانين المجامع المكانية**(مصر، مطابع النوبار، ط.1، 2013) .

- الحسن بن أيوب، **لماذا أسلمت**، تحقيق: محمود النيجيري (مكتبة النافذة، القاهرة، ط.1،2006)

-أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر وآخرون، دار العاصمة، السعودية، ط.2، 1999) .

-نصر بن يحيى، **النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية**، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي (القاهرة، دار الصحوة، 1986) .